خطبة الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

-حفظه الله-

ألقاها فضيلة الشيخ

يوم الجمعة ٢٣-١-١٤٣٩هـ بالمدينة المنورة

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾} [آل عمران:١٠٢]

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾} [النساء:١]

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾} [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن الله عزوجل خلقنا لعبادته، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات:٥٦]، وابتلانا بالدنيا، فجعل الدنيا لنا مُلهية، وعمّا يحب ربنا مُبعِدة، يقول النبي ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذِكر الله وما والاه، وعالماً ومتعلّماً».

فالدنيا -يا عباد الله- مُبعَدة عن رحمة الله، لأنها مُبعِدة عما يحب الله، ولا خير فيها إلا ما كان من عمل صالح يقرّب إلى الله عزوجل.

وإن الدنيا -يا عباد الله- دار عمل، وإن الآخرة دار جزاء، فمن أتعب نفسه اليوم، وعمل لله عزوجل، ارتاح وفرح غداً.

وإن الله عزوجل كلّفنا بالواجبات لزوماً، فمن أدّاها تقرّباً لله أُثيب عليها، ومن تركها، أو نقص منها، استحقّ العقاب.

وإن ربنا سبحانه من رحمته بنا جعل من كل واجب نوافل، إذا أدّاها المسلم جبرت نقص فريضته.

وأعظم الواجبات من الأعمال على الإطلاق: الصلاة -يا عباد الله-، فهي أعظم أعمالنا، وأفضل أعمالنا، وهي أول ما يحاسَب عليه العبد يوم القيامة.

فالمفلح منّا -يا عباد الله- من حرص على أداء الصلوات المفروضة وتكمليها، وحماها بحمى النوافل، يقول النبي ﷺ: «إن أول ما يُحاسَب به العبد يوم القيامة مِن عمله صلاته، فإن صَلُحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب ﷻ: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيُكمَّل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك».

وإن من تطوعات الصلاة -يا عباد الله-: صلاةً هي من آكد النوافل، وفيها خيرات كثيرة، وأجور كبيرة، ولا يحافظ عليها إلا مؤمن تقي أوّاب، فينبغي علينا -يا عباد الله- في هذا الزمن الذي كثرت فيه المُشغلات والمُلهيات، ينبغي علينا أن نتذاكرها، ويُذكِّر بعضنا بعضاً بها.

تلكم الصلاة المباركة -يا عباد الله- هي صلاة الضحى، وهي الصلاة التي تُفعَل في وقت الضحى، من ارتفاع الشمس قَيد رمح إلى قُبيل الزوال، فحيثما أدّاها المؤمن في هذا الوقت فقد أصاب وأتى بها، وحصّل فضلها إن شاء الله.

فإن صلى الفجر في جماعة، ثم بقي في مصلاه إلى أن تطلع الشمس، فيصلي الضحى، فقد أحسن أيما إحسان، ونال من الله عظيم الثواب، لقول النبي ﷺ: «من صلى الغداة في جماعة» -أي من صلى الفجر في جماعة- «ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجّة وعمرة، تامّة تامّة تامّة».

وهتان الركعتان -يا عباد الله- هما ركعتا الضحى عند كثير من العلماء، وهو الأقرب للصواب -والله أعلم-، لما جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه وأرضاه-، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً -أي بعث أقواماً من أصحابه من أجل الجهاد في سبيل الله-، فأعظموا الغنيمة وأسرعوا الكرّة -فكانت غنيمتهم عظيمة، ورجعتهم سريعة-، فقال رجل: يا رسول الله، ما رأينا بعث قوم أسرع كرّةً ولا أعظم غنيمةً من هذا البعث! فقال ﷺ: «ألا أُخبركم بأسرع كرّة وأعظم غنيمة من هذا البعث؟ رجل توضأ في بيته فأحسن وضوءه، ثم تحمّل إلى المسجد، فصلى فيه الغداة، ثم عقّب بصلاة الضحى، فقد أسرع الكرّة وأعظم الغنيمة».

فالرجل الموفَّق منّا -يا عباد الله- الذي يتوضأ في بيته، ويحسن الوضوء، ثم يعمَد إلى بيت من بيوت الله، فيصلي الفجر مع الجماعة، ثم يبقى في مصلاه يذكر الله إلى أن ترتفع الشمس قيد رمح، ثم يُعقِّب ذلك بصلاة الضحى، فهذا نال الغنيمة العظيمة، الغنيمة الكريمة.

فإن لم يفعل ذلك -أي لم يبقَ بعد صلاة الفجر في مصلاه حتى تطلع الشمس ثم يصلي الضحى-، فالأفضل له -يا عباد الله- أن يصليها في آخر وقتها -قُبيل الزوال-، إذا اشتدّت حرارة الشمس، فقد ثبت عن زيد بن أرقم أنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أهل قباء وهم يصلون -والنبي ﷺ كان يذهب إلى قباء كل سبت ضحىً، فخرج عليهم وهم يصلون-، فقال ﷺ: «صلاة الأوّابين إذا رَمِضت الفصال»، أي إذا أحسَّت صغار الإبل بشدة الحرّ، وقامت من مرابضها، فهذا هو أفضل أوقات صلاة الضحى لمن لم يفعل ما ذكرناه أولاً.

وأقلّ صلاة الضحى -يا عباد الله- ركعتان في اليوم في وقتها، ولا حدّ لأكثرها على الراجح من أقوال العلماء.

والتنويع في أعدادها بين الأيام خير وبركة، وهو ظاهر سنة النبي ﷺ، وأقل الكمال منها أربع ركعات، لما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعاً، ويزيد ما شاء الله.

ولما جاء عن أنس بن مالك -رضي الله عنه وأرضاه-: أن النبي ﷺ كان يصلي الضحى ست ركعات.

ولما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ بيتي، فصلى الضحى ثماني ركعات.

وهذا -يا عباد الله- ظاهره أن النبي ﷺ كان ينوّع في عدد ركعات الضحى، فالأفضل والأكمل أن ينوّع المسلم في عدد ركعات الضحى، ففي يوم يصلي أربع ركعات، وفي يوم يصلي ست ركعات، وفي يوم يصلي ثماني ركعات، وإن زاد على ذلك فحسن، وإن صلى ركعتين فجائز مجزي.

ومَن أنعم الله عليه بأن كان من أهل صلاة الضحى، فقد فتح الله له أبواب الخيرات والبركات، فهي من صلوات النبي ﷺ، وهي وصية رسول الله ﷺ لمن يحب، ولا يوصي ﷺ إلا بجوامع الخيرات.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهنّ حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: أوصاني حبيبي ﷺ بثلاث لن أدعهنّ ما عشتُ: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبألا أنام حتى أوتر.

وهي -يا عباد الله- خير للمؤمن من كثير من الصدقات، ومُغنية عنها، وفيها شكر الله على نعمة الجسد، وعلى العافية، قال النبي ﷺ: «يُصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى».

وقال ﷺ: «في الإنسان ثلاثمائة وستون مِفصلاً، فعليه أن يتصدق عن كل مِفصل بصدقة»، قالوا: ومن يُطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «النخاعة في المسجد تدفنها، والشيء تُنحِّيه عن الطريق» -أي هذا صدقة-، «فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئك».

وهي -يا عباد الله- صلاة الأوابين، قال النبي ﷺ: «لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب، وهي صلاة الأوابين» -لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب، وهي صلاة الأوابين!

ومن صلاها -يا عباد الله- في أول يومه حُفظ في يومه ذلك، وكُفي همّ يومه ذلك، يقول النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ: ابنَ آدم، لا تُعجِزْني من أربع ركعات في أول النهار، أكفِك آخره».

إنها صلاة كلها خيرات وبركات، والمحافظة عليها شأن المؤمن الموفَّق.

ولعظيم فضلها كان السلف يحافظون عليها، فقد ثبت عن عائشة ﷺ أنها كانت تصلي الضحى ثماني ركعات، ثم تقول: لو نُشر لي أبواي ما تركتهما، أي: لو بُعث لي أبواي لما اشتغلت بهما عن صلاة الضحى!

وقال معبد بن هلال العنزي: قال اجتمعنا ناس من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك نسأل عن حديث الشفاعة، فإذاه هو في قصره، فوافقناه يصلي الضحى.

وكان أبو الدرداء ﷺ يصلي الضحى ويُطيلها.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واشكروا الله على هذه النعمة، وحافظوا على صلاة الضحى، ومُروا أهلكم وأولادكم بالمحافظة على صلاة الضحى، فإن لكم فيها خيراً كثيراً، وأجراً كبيراً.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

اتقوا الله حق التقوى، فإن أجسادكم على النار لا تقوى، وتمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

واعلموا -رحمني الله وإياكم- أن من آكد صلوات التطوع: سنة الفجر، وهي ركعتان يؤديهما المؤمن قبل أن يصلي الفجر، وهما ركعتان كان النبي ﷺ يحرص عليهما جدّاً، تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشدّ منه تعاهداً على ركعتي الفجر.

وكان النبي ﷺ يحبهما جدّاً، ويقول ﷺ: «لهما أحبّ إليّ من الدنيا جميعاً» -لهما أحبّ إليّ من الدنيا جيمعاً!

وهما خير لمن يؤديهما من الدنيا، خير لك -يا عبد الله- من كنوز الدنيا، فلو أن عبداً قام بعد أذان الفجر، فصلى ركعتين سنة الفجر، وآخر لم يصلِّ هتين الركعتين، لكنه ربح في يومه كنوزاً عظيمة، فإن الأول أغنى منه، وخير منه، يقول النبي ﷺ: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

والأفضل -يا عباد الله- أن يقرأ فيهما المؤمن بسورتي الإخلاص، بـ{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١} [الإخلاص:١]، و{قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١} [الكافرون:١]، فقد كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتين قبل الفجر، وكان يقول: «نعم السورتان هما، يُقرأ بهما في ركعتي الفجر، {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١}، و{قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١}».

ومن فاتته سنة الفجر -يا عباد الله- فإنه يقضيها، والأفضل أن يجعل قضاءها بعد خروج وقت النهي، لقول النبي ﷺ: «من لم يصلِّ ركعتي الفجر فليصلِّهما بعد ما تطلع الشمس».

ويجوز أن يصليهما قضاءً بعد فراغه من الأذكار بعد صلاة الفجر، فقد جاء عن قيس رضي الله عنه أنه قال: خرج رسول الله ﷺ فأُقيمت الصلاة، فصليت معه الصبح، ثم انصرف النبي ﷺ، فوجدني أصلي،

فقال: «مهلا يا قيس! أصلاتان معاً؟» -أي: أتصلي الفجر مرتين؟- قلت: يا رسول الله، إني لم أكن ركعت ركعتي الفجر -أي لم أصلِّ سنة الفجر-، فقال ﷺ: «فلا إذَن»، أي: لا أُنكر عليك إذَن.

فمن فاتته سنة الفجر، وخاف ألا يقضيها لو بقي إلى خروج وقت النهي، فإنه يقضيها بعد أن يفرغ من صلاة الفجر.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واشكروا الله على هذه النعمة، فإنكم اليوم قادرون، ولا يدري العبد ما يكون له غداً، إلا أن المؤمن يوقِن أنه إذا كان يعمل عملاً صالحاً، فعجز عنه لسبب من الأسباب، فإن الله يُجري عليه أجره ما دام عاجزاً، لقول النبي ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له ما كان يعمل مقيما صحيحاً»، فالعبد المؤمن لو أنه كان محافظاً على صلاة الضحى، وعلى سنة الفجر، ثم أُصيب بأمر، وأصبح لا يستطيع أن يصليهما، فإن الله يُجري عليه أجر صلاة الضحى، وأجر صلاة الفجر، ولو بقي عشرين سنةً أو أكثر عاجزاً.

فأنت -يا عبد الله- اليوم قادر، والأمر يسير، فأكرم نفسك بحسن التقرب إلى الله عز وجل، لعلك أن تكون من المفلحين.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم جليل، بدأ فيه بنفسه، وثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: {إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦} [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدةً صلّى الله عليه بها عشراً».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليماً كثيراً.

وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعل الدنيا زيادةً لنا في الخير، اللهمّ اجعل الدنيا زيادةً لنا في الخير، اللهمّ اجعلنا الدنيا زيادةً لنا في الخير.

اللهمّ أطِل أعمارنا في قوة وطاعة، اللهمّ أطِل أعمارنا في قوة وطاعة، اللهمّ أطِل أعمارنا في قوة وطاعة، اللهمّ اجعلنا ممن يتقرّبون إليك، فرضيت عنهم يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، إنا نعوذ بك من السوء والفحشاء، ونستغفرك من ذنوبنا كلها، اللهمّ فاغفر لنا ذنوبنا كلها يا رب العالمين، اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا، وأوسع لنا في دُورنا، وبارك لنا في رزقنا يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.